

البدء بحمد الله والشهادتين

الحمد لله رب العالمين. يعرفون الحمد بأنه: ذكر محسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله. ذكر محسن المحمود يعني الذي أنت تحبه وتعظمه وتجله. وعمره آخرون بأنه: فعل يبيّن عن تعظيم المنعم بحسب كونه منعماً على الحامد وغيره، والتعريفان متقاريان، وأما بعد ذلك ذكر الشهادة يقول: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. مالك يوم الدين. الشهادة مشتقة من المشاهدة والشاهد لا يخبر إلا بشيء رأه يعني: شاهده بعينه أو علمه قال تعالى: { وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا يَقُولُنَا } ونحن نشهد أن لا إله إلا الله تعالى، ولكن رأينا الأدلة والبراهين التي تدل على الوحدانية تدل على أن الله تعالى هو الواحد لا غيره. معنى لا إله إلا الله: لا معنود بحق إلا الله هكذا، لا معنود بحق إلا الله يعني لا أحد يستحق أن يكون له شيء من الألوهية إلا الله. نفي الألوهية عن غير الله، الإله هو الذي تأله القلوب أي: تحبه وتعظمه. وحده لا شريك له وحده تأكيد للإثبات في قوله: إلا الله لا شريك له. تأكيد للنفي أي: في قوله: لا إله، لا إله: نفي، إلا الله: إثبات، وصف الله بأنه مالك يوم الدين أي: هو الذي يملك يوم الدين يوم القيمة. لا أحد يكون له ملك كل يتخلي عن ملكته، أما في الدنيا فإن هناك مير يدعى الملك هذا يملك دولة، وهذا يملك يوماً ثالثاً ولكن في يوم القيمة ليس هناك ملك الله: ولهذا يقول لهم: { لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ } فلا يجيئ أحد فيجيب نفسه: { لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْفَهَارِ } . شهادة أن محمداً عبده ورسوله هي أيضاً شهادة عن مشاهدة وإن كان ما أدركناه، ولكن جاءتنا أدلة التي تبين صدق ما جاء به، والتي تكون محاجزات له تدل على أن الله أيدم بها: ليعرف صدقه، نشهد بأنه عبد يعني أنه من جملة عباد الله، ولا ينافى عن أن يكون عبداً لله تعالى، وكذا الرسل قال تعالى: { لَنْ يَسْتَكِفَ الْمُسِيْحُ أَنْ يَكُونَ عَنَّا } يعني: لا يتأسف ولا يتذكر ولا يتعاطم عن العودية لله تعالى، وكذا الأنبياء قال الله تعالى: { وَإِذْنُ عَنِّنَا أَبُوَتْ } { وَإِذْنُ عَنِّنَا أَبُوَتْ } { وَإِذْنُ عَنِّنَا أَبُوَتْ } وقال تعالى: { فَكَذَّبُوا عَنِّنَا } يعني نوح وذكر الله تعالى موسعاً صلي الله عليه وسلم بهذا الوصف قال تعالى: { إِنَّ كُلَّمُ فِي رَبِّهِ مَفَرِّطًا عَلَى عَيْنِنَا } { سُبْخَانَ الَّذِي أَسْرَى يُعْيَنِه } { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْتَ عَلَى عَيْنِهِ } . والرسول هو الذي يحمل الرسالة كل من جاء بر رسالة من غيره يسمى رسوله، ورسل الله هم الذين فضلهم الله وأبدهم بالمعجزات وحملهم هذه الشرعية، فهي رسالة من الله حملوها وبلغوها إلى قومهم، رسالة نبينا صلي الله عليه وسلم هي هذه الشرعية التي يبلغها، ووصفه يقوله: رسوله المبين يعني أنه بين الرسالة وأنه جاء بما يؤكد رسالته، ويدل على أنه مرسل بآيات بينات المبين لأحكام شرائع الدين أنه بين أحكام الشرائع ببيانها وأوضاعها. وقوله: الفائز يمتهن الإرادات من ريه يعني الذي فاز بنهائية ما أراده الله تعالى له من ريه يعني: متنه ما أراد الله تعالى له يعني ما أيده الله تعالى به من المعجزات في الدنيا، وما يعطيه في الآخرة ما يعيشه به في الدار الآخرة. هذا قوله يمتهن الإرادات، هناك كتاب اسمه "متنه الإرادات" وهو كتاب الفتوحى وهو في الفقه أيضاً، ويظهر أن المؤلف احتجزه وأخذ منه، وقد شرحه المؤلف الذي هو الفتوحى ولكن كان شرحه أقل من الفتن، وذلك لأنه لما أراد أن يقللها جمع علماء بلده فكان لا يضع جملة حتى يصوغوها له ويختارونها وتكون وافية كافية، ثم بعدما انتهت من المتن شرح المؤلف. اعتمد في شرحه على كتب، ولكن صياغته ليست كصياغة المتن، ومع ذلك لا يأس به. وقد طبع الشرح وشرحه بعد ذلك البهوتى الذى هو صاحب الروض المرريع، فكان المؤلف عندما ذكره أراد بذلك الإشارة إلى أنه من حملة ما استفاد منه، ومن تمسك بشرعيته صلى الله عليه وسلم يعني بسته فيما جاء به فإنه من الفائرين، والغور هو الفلاح الغور بكل ما يطلبه ويريده. قد ذكر الله تعالى الفائزين أنهم من أهل الجنة. بعد ذلك قال: صلى الله وسلم عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. الصلاة من الله هي شفاعة على عبده في الملايين على ثناء الله عليه بين الملائكة، وذكره له، أكثر الفقهاء على أنها هي الرحمة، واستدل الفقهاء بأن قوله صلى الله عليه وسلم: قولوا للهيم صل على محمد وآل محمد صل على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم أن هذا صلاة الله هذه صلاة وبركاته هذه قوله تعالى: { رَحْمَةُ اللَّهِ وَبِرَّ كَاثِمٍ أَهْلَكُمْ أَهْلَ التَّبَّتْ } هذه هي الصلاة والبركة على آل إبراهيم صلاة الله وبركاته في هذه الآية رحمة الله هذه صلاة وبركاته هذه بركته عليكم أهل البيت؛ فلذلك قال: كما صليت وكما باركت، عرف بذلك أن قوله: كما صليت يعني يقولك: رحمة الله كما باركت يعني يقولك: رحمة الله هي الرحمة، والسلام هو تسليمه من الآفات ومن الأعداء ومن المكائد والمصائب ونحوها. وعلى الله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين يعني: الصلاة على جميع الأنبياء والمرسلين. هكذا مقدمة صحيحة مسلم ذكر فيها صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين فأنا ذكره كالشوكاني في مقدمة صحيح مسلم وقال: لا حاجة إلى ذكر الأنبياء، المرسلون أنبياء ورسلون، فيكون هذا تكرار جميع الأنبياء والمرسلين العطف لا حاجة إليه فإنه عطف خاص على عام، فلو قال: الأنبياء. لكن، المرسلون أنبياء، وأجاب بعض الشرح كالنوفوي وقالوا: إن المرسلين أعم من الأنبياء، فإن المرسلين قد يكونون من الملائكة قال تعالى: { جَاءَ عَلَى الْمُلَائِكَةِ رُسُلًا } ولا يسمون أنبياء، النبي خاص بالبشر وهو الذي يوحى إليه ياتيه الوحي من الله، وإذا كلفه بالبيان فإنه رسول، إذا كلفه بالبيان وبالبلاغ فيقولون فيقولون: من أوحى إليه ولم يكلف بالتبليل فإنه نبي فإن كلف فهو نبي رسول، وقد يكون هناك رسول من غير الأنبياء كالملائكة، والآن في قوله: وأل كل وصحيه يعني ألل الأنبياء وأصحاب الأنبياء جميعاً. واختلف في ألل النبي صلى الله عليه وسلم. اختار بعضهم أن الله أتى به على دينه. رجح ذلك الشوكاني في مقدمة التل وآشده بتين: آل النبي هم أتباع ملته من كان من عجم منهم ومن عرب لو لم يكن آل الله إلا قرياته صلى المصلي على الطاغي أبي لهب برجح أن الله هم أتباعه، ويقول: إن الله ذكر آل فرعون { أَذْلَلُوا آلَ فَرْعَوْنَ } يعني أتباعه ليس خاصاً بأقاربه، من العلماء من يقول: إن الله هم أقاربه أهل بيته وزوجاته، وذلك لأنه جاء في روایة: { اللَّهُمَّ صُلْ عَلَى الْفَقِهِ الْمُخْتَصِرِ مَا قَلْ لَفْظَهُ وَكَثُرَ مَعْنَاهُ } فدل على أن المراد أهل بيته، وأما الصحب فإنه من صحبيه يعني من آمن به في حياته وممات وهو مؤمن بعد أن أجمعه به. ثم قال: وبعد فهذا مختصراً في الفقه المختصر ما قل لفظه وكثير معناه، وهو يفضل حيث أنه يؤدي المعنى، ومع ذلك لا يصعب حفظه دل على أنه احتجزه لأجل، أن يتيسر حفظه لمن أراد أن يخطه. الفقه لغة: الفهم قال تعالى: { قَمَالْ قَلْعَةَ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقُهُونَ حَدِيثًا } أي: لا يفهمون، جاء في الحديث: من يرد الله به خيراً يفعله في الدين . فهذا الفقه الحقيقي، الفقه هو الفهم، وعلمه هذه الامة منهم من اشتغل بالحفظ، ومنهم من اشتغل بالفقه، ومنهم من جمع بينهما يحفظ ويفقه يعني يستبطئ. قالوا مثلاً: أن الشافعى وأبا حنيفة رحمهما الله شغلهما في الفقه والاستنباط والمالك والإمام أحمد جمع كل منهما بين الفقه وبين الحفظ وفقه، وهناك إسحاق بن راهويه وعلى بن المديني ويعين القطان وابن معين هؤلاء من الحفاظ وفقيهم الله تعالى لحفظ الأدلة؛ وهذا ما أثر عليهم كتابات في الفقه ولا في الاستنباط، ولكن جعلهم الله تعالى أوعية لحفظ السنة. فقهاء الحنابلة، وكذلك الشافعية والحنفية والمالكية استبطنوا أدواً يستبطون الأحكام من الأدلة وسموا ذلك فقهاء، على المذهب الأحمد مذهب الإمام أحمد ما قال به إمام مقدمي ما يكتب في الفقه ولا له كتب في الفقه، وبينه عن ذلك ولكن مع ذلك كان يعني بالأحاديث التي يحفظها ويستبطتها. يعني فكان تلاميذه يكتبون فتاواه. إذا أتي في هذا المجلس وعند ثلاثة كتبها هؤلاء الثلاثة من الحريم يعني على متابعته، ولما توفي وإذا هم قد كتبوا كتاباً كثيرة هذا عنده عشر صفحات، وهذا عنده مائة صفحة، وهذا عنده عشر مسائل على حسب ما حفظه، ثم جمعها تلميذه الذي تتلمذ على هؤلاء فجمعها وهو أبو بكر الخلال ما يتعلق منها بالعقيدة وما يتعلق منها بالأحكام. ذكروا أنه لما جمعها بلغت واحداً وعشرين مجلداً، ولكن ترتيبه.. لم يقرئ لترتيبها جاء بعده محمد بن حامد فجمعها أيضاً أخذها من الذين أخذوا هؤلاء الثلاتة من الحريم يعني على متابعته، ولما توفي وإذا هم قد كتبوا كتاباً ابن حامد أجمع من غيره، لكنه مع الأسف لم يوجد أحد أجزاء منه بسيرة. كذلك كتاب الخلال قد طبع منه مجلدان فيما يتعلق بالسنة باسم السنة للخلاف وكتب الخلال أيضاً كتب وتعلم عليه غلامه وقال له غلام الخلال أبو بكر عبد العزيز ولهم أيضاً مؤلفات كثيرة، لكن مع الأسف ما ذكر وجود شيء منها، ولا طبع شيء منها إلا أنا لم نطلع عليه، وبذلك أصبح مذهب الإمام أحمد مذهب الإمام أحمد وذلك لأن أهل القرآن الرابع وهو مذهب الإمام أحمد ويتحاشون من مذهبهم: لأنهم يتهمنه بأنه محسوم، وأنه متشبه، فلما كان كذلك قل في القرن الرابع من يكون على معتقده، وصار الحنابلة يستخفون بأمرهم وأوذى بعضهم كالبيهارى صاحب الرسالة المطبوعة شرح السنة في العقيدة أوزى أدى كثيراً وهدد، ثم في آخر القرن الرابع وأول القرن الخامس كان القاضى أبو على اعتنق مذهب الإمام أحمد وسب ذلك أنه كان وهو صغير يعني: في السنة السابعة أو نحوها يقرأ القرآن عند أحد المدرسین من الحنابلة فكان يلقن الطلاب أبوياً من كتاب الخرقى صاحب المختصر الخرقى وهو أول من يخطه ذلك المذهب الجنبي الذي شرح الزركشى أو شرحه أبو محمد المغنى فاحب أبو على هذه الأبواب وخطها وقال: زدني إليها العلم فلما اتته مخطوطة ذلك المعلم أبواب الطهارة وما يتعلق بها قال: الآن هذا ما أعرفه ولكن أحيلك على ابن حامد فتلمذ على ابن حامد وأخذ عنه المذهب الجنبي وتولى فيه وصار حافظاً ذكياً قروا وانته. ثم في أثناء ذلك آخر القرن الرابع وأول القرن الخامس لم يجدوا قاضياً يقوم مقام القاضى الذي توفى أشتهر أبو على فلوله القضاة لم يجدوا من يماثله ولكن لما أنه تولى القضاة اشتهر أن يُظهر مذهب الذي هو مذهب الإمام أحمد وأن يقرر هذا المذهب لأن الذين قبله كانوا يستخفون لا يجرؤون على مذهب الإمام أحمد ولكن أباً جعفر عليه السلام يذكر في قوله: أنا جنبي وذلك اعترف به الخلفاء وأفروه وقالوا: لا أحد يطعن على مذهب أبا جعفر عليه السلام يكتبه على علماء أجلاه منهم ابن عقيل صاحب الفتن ومتهم أبو الخطاب صاحب الهدایة، وغيرهم من تلمذ عليه فاشتهر بعد ذلك هذا المذهب وصار له أتباعاً ولو كانوا أقل من غيرهم ولم يزالوا كذلك إلى هذا اليوم. فالحال حال أن هذا هو مذهب الإمام أحمد رحمة الله. يقول المؤلف: بالغت في إيضاحه رحمة الله. يعني حكم كل مسألة تأتي أحسن بيان يعني أوضحه ولم أذكر فيه إلا ما جزم بصحته أهل التصحیح والعرفان كأنه اختار كل كلمة جزم بها من قبله. يعني: جزم بها مثلاً أصحاب الكتب قبله شروحاً أو مختصرات كالفتوجى في المتنى والجاجوى في الإنقان وكذلك من قلمهم كابي محمد بن قدامة في كتبه وغيرهم من جاء بعدهم، وعليه الفتوحى فيما بين أهل الترجح والإتقان يعني: عليه فتوحى أهل زمانه المتأخر يقول: سميته دليل الطالب لين المطالب. يعني: الدليل هو ما يستدل به، والمطالب هي الأغراض التي يقصدها طالب العلم، والله أسأل أن ينفع به من اشتغل به حفظاً، أو قراءةً، أو وقارءةً، ويحرمني وال المسلمين إنه أرحم الراحمين.